Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محمد وعبيده . ومَنْ مِن الآباء يحسن إلى أبنائه خيرا من إحسان محمد لزيد بن حارثة ولابنه أسامة ؟

فقد أعتق زيدا ورآه أهلا للزواج بعقيلة من أقرب قريباته إليه وأولاهن بحدبه وتوقيره ، وهى التى رآها بعد ذلك أهلا لزواجه بها وحظوتها لديه . فلم يعطيه الحرية وكفى ، ولم يعطه المساواة فى العيش وكفى ، بل رفعه إلى المنزلة الاجتماعية التى يرتفع إليها السادة ، ولا يثبتها شىء كما يثبتها شرف المصاهرة .

ثم حفظ هذا البر الأبوى لابنه أسامة ، فولاه جيش الشام وهو دون العشرين ، وفى الجيش طائفة من أكابر الصحابة . . فلو كان للنبى ولد فى سِنه لما تكفل به أحسن من هذه الكفالة ، ولا ميزه أشرف من هذا التميز .

نعم لم نُعد الواقع ، ولا تجوزّنا فى الوصف ، حين قلنا إن الابن لا يتمنى خيرا من معاملة محمد لعبده . فقد عرف زيد فعلا أن محمدا خير من أب وخير من أسرة كاملة يرجع إليها وترجع إليه . . فبقى معه ولم يذهب مع أبيه ، ولم يبق معه إيثارا لبركة النبوة فإن محمدا لم يكن قد أرسل بالدعوة يوم اختاره زيد وآثره على جميع آله . وإنما بقى معه لأنه الإنسان الذى يعرف حتى العبد الرقيق أن آصرة الإنسانية عنده أوثق من آصرة الأبوة عند آخرين .

إن حب الوالد لوليده وراثة ألوف الألوف من الأجيال . بل وراثة الحياة فى جميع الأحياء . فإذا بلغ البر بالضعفاء مبلغ الحب الأبوى من القوة فقد بلغ الذروة العليا التى لا متسنَّم فوقها لراق . .

. لقد خيرت شريعة الإسلام المحسنين بين المن وإعتاق الأسرى ، وبين الفداء بالمال أو المبادلة . . فأيهما اختار المالك فهو إحسان . .

أما محمد فقد اختار المن وزاد عليه . فأعتق كل اسير صار إلى حوزته ، وزاد على العتق تلك الرحمة الأبوية التى شملت كل منتم إليه ، ولم يستبح فى غضبه ما يستبيحه المعلم والوالد من ضرب وتعزيز . . وربما كانت كلماته للخادم المخالف أقرب إلى الملاطفة منها إلى العقاب . ومن ذلك قصة الوصيفة التى أرسلها فأبطأت فى